من الصفرة الى الحمرة ثم المشمشي ثم الضارب الى الكهوبة وكان في القديم ما كان وزنهُ مائة دينار الى مائة وخمسين ديناراً وجُرّب مع دخان بخور انهُ ينفع البواسير نفعاً بليغاً

وليكن هذا آخر هذا الكلام في هذا الكتاب واقتصرت على ذكر هذه الجواهر لانها النفيسة التي تذخرها الملوك والاكابر وتتحلى بها الغواني ومنافعها جليلة ولم أطل فيه القول بكيفيَّة توأدها لعدم الفائدة في ذلك ولا ذكرت ما يُلحق بها مثل المرجان والسَّبَج ونحوها لنزول رتبتها من هذه الجواهر النفيسة (١

وقد آن ختم الكتاب بحمد الله تعالى والصلوة على نبيهِ محمد سيد المرسلين وآلهِ وصحبهِ الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل

البادية والحيرة في عهد بني اميَّة

خطبة القاها حضرة الاب هنري لامنس اليسوعي في مؤتمر المستشرقين في كوبنهاغن

من أجمل النظر في اوَّل تاريخ الاسلام يأخذه العجب من حالة العرب بعد الفتح عند احتلالهم البلاد المصَّرة فانَّهم رأوا فيها انفسهم كالغريب الذي اعتاد سكنى وطنهِ فلا يطيق العيشة في غيرها . وكذلك العرب فانَّ مدن الشام مع سعتها ضاقت عليهم بعد توطُّنهم في البوادي يتجوَّلون فيها كيف شاؤوا وكانَ عمر بن الخطاب اشعر بما لقيهُ العرب من الجهد والعناء في سكنى المدن فاراد ان ينشىء لهم في العراق على طرف الصحراء دساكر يقطنونها ليعتادوا التمصير والعيشة المدنيَّة تدريجاً كما يؤخذ من روايات فتوح البلدان للبلاذري . وليس البصرتان في العراق اي البصرة والكوفة كما الفسطاط في مصر سوى مقامات كهذه متوسطة بين الحضر والبدو

والحق يقال انَّ العرب الاوَّلين بعد خروجهم من مواطنهم البدويَّة واحتلالهم الامصار كانوا يميلون الى البادية . ويحنُّون الى نوقها ليتوروا من ألبانها وذلك ما كانوا

(١) هذه هي الجواهر التي وصفها المزاف وفي اوصافهِ افادات لم تجدها في كتاب الثيفاشي . على انَّ الثيفاشي ذكر ايضاً حجارة سكت عنها صاحبنا اخصها العقيق والجزع والمناطيس واللازورد والمرجان والسنباذج والسَّبَج

يدعونهُ بالعيسة اي شهوة اللبن وأن لا يصبر عنهُ الانسان. وقد جاء في الحديث النبوي انهُ كان يتعوَّذ من العيسة (١ فكانت العيسة كالداء المعروف في أيامنا بداء الوطن (nostalgie). ولنا على ذلك شواهد عديدة. ومما يروى عن الشاعر الصحابي نابغة الجعدي (٢ انهُ بعد ما قضى اعواماً في المدينة الحَّ على عثمان بان يرخص لهُ في الرجوع الى قومه «ليلحق بابله ويشرب البانها» فقال لهُ عثمان: اتعرَّباً بعد الهجرة يا ابا ليلى ليس ذلك من الصواب. لكنَّ الجعدي زاد الحاحاً في طلبهِ لما كان يجده من المشقة في الحضر حتى انهُ كان «مُنكراً لنفسهِ» لا يكاد يعرف فيها شدَّتها السابقة (٣. ففي انكار عثمان على النابغة فعلهُ نظرٌ لانَّ الخليفة كان يجد في شوق العرب الى باديتهم خطراً على الدولة اذ انَّهم ارجعوا الى مضاربهم لعدلوا عن ضبط الامصار وأنفوا الجهاد فيقوى عليهم اعداؤهم ويسترجعون منهم الامصار التي فتحوها بعد الحروب الطويلة والمشقَّات المضنية. فلافاةً لهذا الخطر امر الخلفاء الراشدون بألَّا يُدفع العطاء لغير المهاجرين. وفي صحيح البخاري (٤: ١٨٥) انَّ الحجَّاج اخذ على بعض الصحابيين في زمانهِ اعتزالهم عن المدن. وكذلك في أيام محمَّد كان الصحابيون اذا سألوهُ الرجوع الى البادية لم يرخِّص لهم بذلك الَّا لبعض المرضى منهم (٤ حتى انَّ الكتبة الاوَّلين كانوا يفرقون بين العرب والمهاجرين فيدعون ساكني المدن بالمهاجرين وسكَّنة البادية بالعرب ومنهُ قول القطاميّ في اتفاق العرب على تسويد ربيعة:

فليس من الاحياء الَّا سوَّدتْ ربيعةَ امرائهُ ومهاجرهُ

ولنا في تفضيل العرب للبادية على الحضر عدَّة شواهد في تاريخ النهضة الاسلاميَّة فمن ذلك ان بني كلب لمَّا طردتهم قيس من مفاوز السماوة والجأتهم الى سكنى سواحل الشام كانوا يعدُّون نفوسهم هناك كالمنفيين يتوقون الى مواطنهم البدويَّة. قال زفر ابن الحرث:

---

١) راجع كتاب تصحيف المحدثين من مخطوطات المكتبة الخديويَّة

٢) اطلب كتاب الاغاني (٤: ١٢١)

٣) ومن الشواهد المثبتة لذلك قول عمر: انَّ العرب لا يصلحها الَّا ما يصلح الابل (البلاذري ص ٢٧٦)

٤) اطلب صحيح البخاري (٤: ٢١٧) وصحيح مسلم (٢: ٩٣)

يا كلبُ قد كلبَ الزمانُ عليكمُ واصابكم في عذابٌ مرسلُ
انَّ السماوة لا سماوةَ فالنعي بالنور فالافحاصُ بئسَ المونلُ
نجنوب عكًّا فالواحل أنَّها ارضٌ تذوبُ جها اللتاحُ وتزلُ

وكانت هذه القبائل تُعدُّ واحةَ دومة الجندل الغنّاء وعاصمة الشام نفسها لقربها من الغوطة كمنازل و بيئة تنهك حُميّاتها قواهم. قال الاخطل:

كرهنَ ذباب دومةَ اذ عفاها غداة تثار للموتى القبورُ

وقال: « فلو كنت مصحوباً بدومة مدنفاً . . . »

وقد جرى مثل ذلك للصحابيين الذين هاجروا الى المدينة فسكنوها مع محمّد وتأذّوا من هوائها. وكذلك السارية التي نزلت في سواد العراق بعد الفتح الاسلامي كما روى البلاذري (ص ٢٧٥ و ٢٧٦) قال: « فاصابهم البعوض فكتب سعد الى عمر يعلمهُ انَّ الناس قد بُيضوا وتأذّوا بذلك. فكتب اليه عمر: انَّ العرب بمنزلة الابل لا يصلحها الّا ما يُصلح الابل »

ومن عجيب الامور انَّ اعراب البادية حتى يومنا هذا لا يُطيقون سكنى الامصار فاذ احتلّوها تأذّوا من توطّنها كما شهد الرحّالون عن عرب شبه جزيرة سينا وغيرها. ولو استفتاهم احد في ذلك لأمكنهم ان يجيبوا كما اجاب ابن ميّادة للخليفة الوليد (الاغاني ٢ : ١٠٩): « لسنا باصحاب عيون يأكلنا بها البعوض ويأخذنا بها الحميات ». فكأنَّ اهل البادية منذ ذاك الحين شعروا بما اكتشفهُ العلم في زماننا بانَّ البعوض اكبر ناقل للحميات وهذه الهوام تكثر حيثما تتوفّر المزدرعات وتستنقع المياه. وذلك ما كان يحدو بمالك الحيرة ان يربّوا اولادهم في اواسط جزيرة العرب بعيداً عن المدن المضرة ليسلموا من مساوئ الاوبئة . وكذلك الاكاسرة كانوا يسلّمون ولاة عهدهم الى اللخميين ليتخرّجوا في آداب اهل الوبر في قصورهم التي ابتنوها على طرف البادية كالخورنق والسدير وغيرهما من القصور اتخذها اصحاب الشام كأمثلة حذوا حذوها فبنوا قصر المشتّى وشيّد بنو امية تلك الابنية الشاهقة التي ظهرت آثارها مؤخّراً. لانَّ غاية ما كان الاعراب يخافونهُ سكنى الريف كما روى الجاحظ عن بعضهم في كتاب الحيوان (٤ : ٨٣):

فاياكمُ والريفَ لا تقربنهُ فانهُ لدينِ الموتُ والحتم قاضيا

ولما جعل مُعاوية كرسيّ ملكهِ في الفيحـاء وترتّب على الامويين ان يتخذوها « كالنير الغربي » لم يزالوا يحنّون الى مفاوز البادية ولطلّهم لم يسكنوها مطلقاً لولا بيعة الخلافة . وفي واقع الحال لا ترى من بني اميّة احدًا اطال الاقامة في دمشق الّا معاوية وعبد الملك . امّا الآخرون فكانوا يأتون السكنى فيها فيُسرعون الى البيـداء ولاسيما الوليد بن يزيد قال ابن عبد ربّه (٢ : ٣٥١) : « لم يدخل مدينة من مدائن الشام حتى قُتل ولم يزل يتنقّل ويتصيّد »

وكان الامويّون يتعمّدون البادية ايضاً ليحافظوا على فصاحة العربيّة فلا يفسد لسانهم برطانة اهل المدن . وقد اختبر عبد الملك الامر بابنهِ الوليد فانّ ابن عبد ربّه روى عنهُ (٢ : ٣٣٣) : « انهُ تراخى في تأديب ولدهِ فكان لحّاناً . وقال عبـد الملك : اضرنا في الوليد حبّنا لهُ فلم نوجّههُ الى البادية » . ولمّا خلف الوليد اباهُ لم يشأ ان يكون ابنهُ روح مثلهُ فأرسلهُ بين القبائل . (قال) « فنشأ في البادية فكأنّهُ اعرابيّ » . وعلى هـذا المنوال صارت البادية كمدرسة الامراء . وبالاجمـال يمكن القول بان الطبع الغريزيّ والوراثة الجدّيّة كانا يحمـلان العرب على الرجوع الى منشاهم فيخرجون الى البادية غاية امكانهم وذلك في الشام كما في العراق وفي مصر كما في الحجاز . فانّ عبد العزيز اتّخذ لهُ في مصر باديةً فجعلها في حلوان وكذا كان يفعل العلويّون في الحجاز بخروجهم الى المساكن البدويّة .

*

تلك كانت عادة العرب في اوّل ظهور الاسلام فانّهم كانوا اذا شعروا بقـدوم الشتاء يتوغّلون في جهـات الجنوب طلباً لحرارة الشمس . وذلك انّ شيوخ القبائل عند اشتداد القيظ واستيلاء الجدب على البادية كانوا يقتربون من الريف ويطلبون منتجعاً لرعية مواشيهم عند مياه معلومة . فاذا جاء الربيع واكتست الارض بزخارفها بعد هطل الامطار عدلوا عن الحضارة الى الكلاء في مواطنهم فوجدوا فيها ما يكفل بارزاقهم ويقوم بمعاش ابنهم فيطلقون سراحها فتسمن ولا تحتاج الى ورد المياه وتكثر البانها فيقتات منها اصحابها فضلاً عمّا يلقون اذ ذاك من الكمأة واحرار البقول . اما اشرافهم فكانوا ينتظرون نهاية الامطار فيرحلون الى البرّيّة ويدعون ذلك التبدّي فيقضون بقيّة سنتهم في الصحاري

فلمّا استوى الامويّون على سدّة الخلافة في دمشق انتسوا باهل جلدتهم فاتّخذ كلّ منهم له بادية او مصيفاً يتنزّلون فيه عن ضوضاء المدن وكان اقارب الخلفاء يأتسون بمثلهم قال الطبري في تاريخه: «كان الخلفاء وابناء الخلفاء يتبدّون (وفي الاصل يتبذون وهو تصحيف) ويهربون من الطاعون فينزلون البرّية» وفي الاغاني (٦: ١١٣) :«خرج يزيد ابن عبد الملك الى قرين (والصواب قُدَيْن) مبتدئاً (والصواب متبدّياً)»

اما النواحي التي كانوا يحلّون فيها فكانت غالباً في بادية الشام او ما كان بجوارها. فانّ معاوية كان يشتو بالصَنَبْرة في الاردن مقابل لَعَبة (١ وكذلك عبد الملك سكن الضَبْرة مدّة. الّا ان اكثر الامويين اتّخذوا لهم منازل في بادية الشام كما روى صاحب الاغاني والطبريّ وابن عساكر فانّ هؤلاء المؤرخين وغيرهم ايضاً لا يكادون يذكرون خليفةً منهم الّا ذكروا ايضاً تبدّيه. فان يزيد بن معاوية كان يقضي معظم سنتهِ في حوّارين (٢. وسكن ابنهُ خالد في الباقاء في قصر قُدَيْن حيث كان ايضاً سعيد احد اقاربه. وكان عبد الملك بعد رجوعه من الصَنَبْرة يقضي شهر اذار في الجابية وكان لهُ منتزه آخر في دومة الجندل. وكان خلفاء عبد الملك مواظبين على التبدّي الّا عُمَر بن عبد العزيز الذي سكن بلدة خُناصرة

اما منزل الخلفاء في البادية فكان يختلف فمنهم من كان يكتفي بضرب الخيم والسكن في المضارب كما اخبر اسحق بن زياد (الاغاني ٢: ٣٥) عن هشام بن عبد الملك انهُ «وجده نازلًا في قاع صحصح في سرادق من حبرة وفي السرادق فسطاط فيه اربعة افرشة من خزّ احمر». لكنّ تلك المنازل انما كانت موقتة فلم يرضَ بها الخلفاء فآثروا بناء الدور الرحبة والقصور الجميلة. والمرجّح ان بعضهم لم يعمدوا الى ابنية جديدة واكتفوا بان اصلحوا ما وجدوه من الابنية القديمة في طرف البادية حيث كانت تخوم الرومان لا سيما ان تلك المباني كانت قريبة من المياه مجاورة للمراعي تمرّ عليها القوافل ذاهبة وآئبة فلمّا تولّى بنو امية امر الشام عادوا فرمّموا تلك البنايات وسكنوها

١) اطلب معجم البلدان لياقوت (٣: ٤١٦)
٢) اطلب المشرق (٩: ٥٦٠)

فمن المواضع التي نزلها الامويون المقوَّر وهو حصن بالبلقاء سكنهُ يزيد بن عبد الملك وكان رثَّهُ وزيَّنهُ فجعلهُ من القصور الجميلة فلمّا ملك بنو العبّاس وأبادوا آثار الامويين اخربوا في جملتها قصر المقوَّر . قال ابو نخيلة يمدح بني العبّاس :

وأمست الآبارُ دارًا تُعمَرُ وخُرِّبت من الشآم أدوُرُ
حمصٌ وباب التبن والمقوَّرُ ودُمّرت بعد امتناع تدمرُ

واستقرَّ الوليد بن يزيد في « قسطل » موضع قرب البلقاء من ارض الشام وخلفهُ فيه عمهُ العبّاس . وكان الوليد يستوطن ايضاً الزيزاء من قرى البلقاء وقصر الازرق في البرِّية كما روى صاحب كتاب العيون والحدائق (ص ١٢٠) اما قُرين التي ورد ذكرها في الاغاني (٦ : ١١٣) كمنزل من منازل الامويين فليست هي المقوَّر كما زعم الدكتور موسيل (Quseir Amra , 158) والاصح انها تصحيف قُدَين بتخفيف الياء وقد رواها صاحب معجم البلدان (٣ : ٨٥٨) باليـاء المشدَّدة وال التعريف . وقُدَين هذه قصر قريب من حصن الازرق كان اولاد الخليفة عثمان يسكنونهُ وبقي في ايديهم الى زمن بني العبّاس (راجع كتاب العيون والحدائق ص ١١٨)

ولا يسعنا هنا ان نسكت عن امر رواه الدكتور موسيل في وصفهِ اثنير عمرة وبلاد موآب (ص ١٥٧) وقد قال هناك انَّ هذه القصور القديمة التي توفَّق الى اكتشاف بعضها عُرفت ايضاً باسم الحيرة ويسند قولهُ الى بعض نصوص الطبري (٢ : ١٧٩٥) حيث يروي المؤلف بان عبد العزيز لمَّا قام من دمشق ليقتل الوليد « عسكرَ بالحيرة » فزعم الدكتور موسيل انَّ الحيرة هنا يراد بها القصر او منزل الجند لكنَّ الكاتب لم يطَّلع على رواية اخرى اضبط من هذه الرواية وهي « الجيزة » كما رواها صاحب العيون والحدائق . وقد افادني جناب الدكتور مورتس ناظر الكتبخانة الخديوية ان الترك يدعون اليوم قصر الزيزاء بالجيزة غير اني لا ارى بُدًّا من الفرق بين الزيزاء والجيزة لانَّ الزيزاء من الاعلام القديمة التي لا يمكن القول في تصحيفها . ثمَّ انَّ قرية الزيزاء كانت بعيدة عن طريق عبد العزيز في خروجه على الوليد والمرجح انهُ سار بجندهِ على الطريق الرومانيَّة التي تمتدُّ من بُصرى الى الازرق (١ لقصرها واستقامة

١) اطلب بحث العلامة دوسو (R. Dussaud : *Mission* , 76)

مسيرها. وفي هذه الطريق بين بصرى وادرعات موضع (١ اسمهُ الجيزة فتكون هذه الرواية هي الصحيحة دون غيرها

ومع ما قلناه من تصحيف الجيزة بالحيرة لسنا لننكر انَّ رأي الدكتور موسيل قريب الى الصواب اعني اطلاق اسم الحيرة على منازل البادية حتى بعد عهد الامويين. ويقرّب هذا الرأي كون العرب دعوا الحيرة وانكوفة بالحيرتين (ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٣٧٥ وتاج العروس ٣ : ١٦٦). وكذلك ترى بين اعلام الامكنة الواقعة في العراق في حكم اللخميين عدَّة مواضع عُرفت باسم الحيرة ذكرها الكتبة (اطلب مادَّة الحيرة في ياقوت وتاج العروس)

ويؤيد ايضاً هذا الرأي استعمال العرب للفظة الحَيْر اطلقوها على الحمى ومحلّة الجيش. وفي معجم البلدان (٢ : ٣٧٥) « ان الحيرة الحَيْر المبنيّ » وافادنا ايضاً ياقوت ان الخليفة المتوكل دعا قصراً بناهُ في سرّ من رأى باسم الحَيْر. وفي تاريخ تاوفانوس انَّ العرب لما ساروا الى محاربة الروم كانوا نازلين في مكان دعاه Hpav يوافق لفظهُ لفظ الحَيْر وهو يجعلهُ في انحاء فلسطين. ومن المحتمل ان هذا الاسم يدلّ فقط على مقام محصَّن ليس على مكان معلوم

ويزيد على هذا القول اثباتاً ما رواه المستشرق العلّامة نلدك في كتابهِ عن ملوك غسّان (Ghassaniden Fürsten, 47-49) قال: ان رؤساء قبائل غسّان كانوا يسكنون في احياء قسمٌ منها ثابت بالبناء والمدر وقسم آخر غير ثابت من جنس المضارب والخيم كانوا ينقلونهُ من مكان الى آخر للدفاع عن التخوم وحراستها. وكانوا يدعون تلك الاحياء باسم سرياني معناهُ قال ومنها اشتق العرب اسم « الحيرة ». وما كانت البادية عند بني اميَّة الّا احياء كهذه تصلح للسكنى ويسهل التنقل منها. وممَّا اشتهر عند الغسانيين من ذلك محلّة الجابية التي كانت جامعة بين صفات المحلّات والمدن وبين خواص الحضارة والبدوية ولذلك كان العرب يفضّلونها. وفيها نزلت الجيوش الاسلاميَّة قبل واقعة اليرموك وهناك خطب عُمر بن الخطاب خطبتهُ المشهورة. وباب الجابية بدمشق منسوب الى هذا الموضع (ياقوت ٢ : ٣)

(١ راجع الكتاب عينهُ (38 ; il ;) والمجلة الفلسطينية ZDPV, (Schumacher, 135) XIX

فلنعودنَّ الان الى كلامنا عن بادية الامويين. فانهم لمَّا احتلُّوا تلك المباني التي سبقهم الى تشييدها الروم زادوها جمالًا بما الحقوا بها من المقاصير وزيَّنوها بالزخارف والمحسَّنات فاتخذوا الحمَّامات وجعلوا فيها الاحواض وشيَّدوا لها المشارب والمغتسلات وازدانوا المعاهد بالنقوش والتصاوير كما تُرى في قُصير عمرة. ولم يدعوا شيئاً من طيب المعاش وهناء السكن الَّا عمدوا اليهِ. فاضحت تلك المنازل كالقصور التي تصلح للملوك ومما يدل على شهرة تلك المقامات ان بني العباس حاولوا هدم آثارها لئلا تبقى كشاهد على عظمة الامويين وذلك ما فعلوا خصوصاً بقصر المقوَّر كما سبق القول

ومن راجع كتاب الاغاني لابي الفرج واعتبر اوصافهُ للبادية يتحقق بان منازل الامويين لم تكن ثمَّ منفردةً بل كان يحدق بها عدَّة ابنية لاحقة بها منها بيوت ودور كدار الضيفان وبيت الحرس. ولا يبعد انهم اتَّخذوا ايضاً محلات للجند والخيل. ومجمل القول انَّ البادية كانت كعسكرة فيها المضارب والمباني ومنازل الجند ومساكن حاشية الامير واهلهِ. وكان الخليفة يقضي هناك ايَّامهُ في الدعة والسكينة بين اصحابهِ ويعيش بلا تكلف. فانَّ كتاب الاغاني يقول عن سليمان بن عبدالملك (٤ : ٦١) انهُ «كان في بادية لهُ يسير على ظهر سطح» وان الوليد بن يزيد استقبل قوماً في دار اواسعة وتمدَّد احد جلسائهِ بان يرمي بهِ منكسًا من فوق القصر (اغاني ٦ : ١١٤ و١٧ : ٩٩). وقد ذكر في محلٍّ آخر انهُ «كان على بناء كان بناهُ في عسكرهِ يُشرف بهِ» وقد جاء ايضاً في وصف ابنيتهِ ذكر الرواق وذكر دار الضيافة وكل ذلك مما يثبت انَّ ابنية الخلفاء في البادية كانت واسعة وأهلًا بالملوك ويُخبر عن يزيد بن عبد الملك انهُ ابتنى الابنية حول قصر المقوَّر وكان لهُ في البرِّية عدَّة قصور يتنقَّل اليها ويتصيد كالزيزاء وفُدَين والازرق والاغدف والنجراء وقصر الابيض في الرحبة والباثر (ليس اباثر كما تصحَّف في الاغاني ٢ : ١٠٨). وزد على هذه الامكنة عدَّة قصور وقف عليها الدكتور موسيل في سياحتهِ الى مؤاب وكلها كما يظهر كانت في بوادي الخلفاء يرافق وصفها ما ذكره صاحب الاغاني في نصوصه

وقد بقي علينا ذكر قصر آخر كثر فيهِ القال والقيل في هذه السنين الاخيرة نريد قصر المشتَّى اطلب المشرق ١ : ٤٨١ و١٠ : ٥٧٢) الذي موقعهُ في وسط القصور السابق ذكرها وهي تحدق بهِ كحلقة الدائرة ولا غروَ ان الخلفاء الامويين كانوا يعرفون مكانهُ حق

المرفة اذ كانوا يتجرّلون في بواديهم و يتنقلون بين قصورهم لا سيما يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد . فيا تُرى اليس هو الاجدر بالقول انّ هذا البناء العجيب احد آثارهم الجليلة . فانّ الامويين كانوا يحبون البناء وتشييد القصور الشاهقة أفلا يسوغ لنا القول بأنهم اقاموا لباديتهم قصرًا كالمشتّى . وليس هذا بالمستبعد مع ما نعلم خصوصًا من اخلاق بعضهم كيزيد والوليد المذكورين وكان كلاهما يحبّ الملاهي و بذخ العيش وقد اخبر العينيّ في عقد الجمان عن يزيد انهُ قصد ان يبني في البرّية قصرًا ليعيش فيهِ مع جاريتهِ حبابة . ولعلهُ فعل ومن المحتمل ان يكون القصر المنويّ هو المشتّى . وانما حال دون اتمامه ما فُجع به يزيد من موت حبابة عشيقتهِ ولم يلبث ان قُتل هو ايضاً بعدها . اما ما نجزم من هذا القصر الجليل فهو آية هندسيّة تأخذ بمجامع القلوب وكل من يرى نقوشهُ البديعة في متحف برلين يقرّ لبُناتهِ بحسن الذوق والقدرة على الاعمال الاثيرة

انّ مسألة قصر المشتّى من المسائل العويصة التي ما كنّا لنجترىء ان نخوض عبابها ونحن نعلم اختلاف آراء الكتبة فيها الّا ان بحثنا في البادية على عهد الامويين لم يسمح لنا بالسكوت عنها . امّا قولنا في اصلها الاموي فليس هو حكمًا باتًّا وانما هو رأي عرضناهُ في مجلّة المشرق سنة ١٩٠٧ في عددها الصادر في اوّل تموز في اثناء كلامنا عن تأليف الدكتور موسيل في مواب ونواحيها . وغاية ما نرغب ان يعود العلماء الى هذا البحث و يعتبروا ما قدّمناه من الشواهد المنقولة عن كتبة العرب فلعلّهم يجدون فيها دلائل جديدة تثبت نسبة هذا البناء الفخيم للدولة الاموية وتزيل الشبهات التي تحجب الحقيقة عن العيان . ان شاء الله